

## ماذا يعني الصليب لنا اليوم؟

الأب رويير ميكلين

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إن صليب المسيح وموته الغالب والواهب الحياة، اللذين بهما يدمر الموت، مهمان جداً بالنسبة لنا لنفهم ونستوعب كمسيحيين أرثوذكسيين... فالكنيسة تطلب منا أن نسأل أنفسنا "ما الذي تعنيه قوة الصليب بالنسبة لي شخصياً إذ أعيش في العالم اليوم؟"

للأسف، لقد فقد الصليب معناه، الشخصي والجماعي، لدى كثيرين في الثقافة الدهرية اليوم، والغارقة في أولويات الحياة اليومية، حيث تحتل الكنيسة المرتبة الخلفية بين العديد من الأولويات الزمنية الأخرى. إن المصطلحات التي يفكر بها العالم الدهري هي مثل: كل ما أختبره هنا والآن، كل ما أراه وألمسه، هو مدى وجودي وما هو معروف، لذلك "فَلْتَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لَأَنَّا غَدًا نَمُوتُ!" (١ كورنثوس ١٥: ٣٢). جزئياً، هذا هو سبب حث العالم على التركيز على الذات والأنا، "أنا أولاً"، عندما يصرّ علينا على عدم حرمان أنفسنا من أي شيء؛ باختصار، تفقدنا ثقافتنا إلى الخمول الروحي والموت الروحي وتشجعهما. لهذا السبب، إن الحفاظ على الصيام والأعياد... التي حددها المسيح من خلال كنيسته، أمر حيوي بالنسبة لنا وليس مجرد خدَم "إضافية" يمكن تفويتها إذا كان المرء مشغولاً.

إن عالماً لا يؤمن بالله ووحيه، وينكر التجسد والأحداث التاريخية لحياة المسيح وقوته العجائبية الخلاصية، هو عالم لا تظهر فيه العواقب الحقيقية للشر أو الظلام والعنف. إنه عالم تنسى فيه طريقة الشفاء من الأهواء، ونحن ننتقل كأفراد من سيئ إلى أسوأ. إنه عالم تزداد فيه صعوبة أن تكون مسيحياً حقيقياً، إنساناً يحب الله "من كل قلبه، من كل نفسه، من كل فكره" (متى ٢٢: ٣٧)، ما نحن مدعوون إليه جميعاً؛ إنه ليس العالم كما يريده الله ولهذا السبب يعطينا المسيح الصليب.

الصليب هو ردنا على العالم الساقط ويأسه، على الذين ينكرون الله ودعوته المُجَبَّة لحياتهم، وعلى كل مَنْ يتعثر في إيمانه. الصليب هو دائماً تذكير بالواقع المطلق وأهمية ملكوت الله بالنسبة لنا، وتذكير بإخلاء المسيح لذاته (kenosis في اليونانية) وتقدمته الطوعية لنفسه لهزيمة الخطيئة والموت نيابة عنا وخلق إمكانية وجود نسل جديد لآدم ينتصر بالمسيح ومثله على الخطيئة والموت. في "موتنا عن الذات"، نحن الذين نحمل صليبنا معطين الأولوية للمسيح والإنجيل، نستعيد إنسانيتنا الحقيقية، وغايتنا ودعوتنا في هذه الحياة التي وهبنا إياها الله.

ولكن هذه هي الحقيقة: لا يمكننا أن نتبع المسيح ونصبح مشاركين في غلبته إذا لم نكن على استعداد أيضاً لإخلاء ذواتنا من كل ما لا يتماشى مع المسيح وإنجيله. كما يقول المسيح، لا يمكننا أن نخدم الله والمال (متى ٢٤: ٦). بدلاً من ذلك، نحن مدعوون لأن نكون "في العالم، ولكن ليس من العالم". هذه الدعوة ليست شيئاً يمكننا أن نقرر التخلي عنه كمسيحيين "معاصرين". بالمقابل، نحن نغصب أنفسنا يومياً لنعيش من أجل

المسيح، ونخضع أنفسنا لمشيئته ونعكس ملكوت الله في كل ما نحن عليه وكل ما نفعله. بعبارة أخرى، نحن ننكر أنفسنا ونحمل صليبنا ونتبع المسيح. بهذه الطريقة نحن نتقدّس.

يقول القديس بولس أن في المعمودية "لبسنا المسيح" (غلاطية ٣: ٢٧). حسناً، إذا كنا قد "لبسنا المسيح" حقاً، فنحن إذن للمسيح وعلينا أن نكون متعلقين بعمل المسيح فيما نزداد أكثر وأكثر شبيهاً به واتحاداً معه. كل واحد منا، إلى حد ما، من خلال أفعالنا أو تقاعسنا في هذا الخصوص، يقرر أنه مع الله أو ضد الله.

يذكرنا القديس بولس أن رسالة الصليب هي عند الهالكين جهالة واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله (١ كورنثوس ١: ١٨). بالنسبة للعالم، إنكار الذات، حتى المحبة الحقيقية نفسها، غريبان، لأن العالم الدهري الإنساني يسعى إلى فهم "الحب" بعيداً عن الله، صانع المحبة. هذا هو السبب في أن الأروس (العشق) والكبرياء غالباً ما يتم الخلط بينهما وبين الحب وينتج عنهما الانحراف والارتباك الجنسي عندما لا يتوافقان مع إرادة الله المعلنة. المسيح هو الذي يعلمنا ما هي المحبة وكيف نحب: " نَحْنُ نُحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبُّنَا أَوْلًا، يعلن القديس يوحنا في رسالته الأولى (أيوحنا ٤: ١٩). هذه المحبة توجهنا إلى الصليب، إلى علامة محبة الله وذروتها، التي تظهر في التجسد، في آلام المسيح الخلاصية، وفي دعوته لنا للاشتراك في تلك الحياة الجديدة التي صنعها لنا نحن الذين "لبسوه".

المحبة إذن هي ذبيحة ومقدسة. تصبح المحبة الحقيقية مانحة للحياة إذ توخّدتنا أكثر مع الله ومع بعضنا البعض عندما نتعلم أن ننكر ذاتنا ونحمل صليبنا ونتبع المسيح، ليس فقط خارجياً في أعمالنا، ولكن داخلياً إذ نتحوّل وننمو في الوحدة مع المسيح ونصير مشاركين في الطبيعة الإلهية (٢ بطرس ١: ٤). المحبة الحقيقية تعني أن نطلب للآخرين ما يريده الله لهم. إنها بعيدة كل البعد عن "تأشيرات الفضيلة" وتأكيد الخيارات وأنماط الحياة الخاطئة في حضارة اليوم. لكن عندما يقف المسيح في مركز حياتنا وأولوياتنا يكون أيضاً مركز محبتنا إذ هناك يقف الصليب دائماً، وهو الذي يحدد المحبة!

بعبارة أخرى، كما يقول الراهب الروماني الأب أرساني بوكا: "من يرسم إشارة الصليب، عليه أن يكون أيضاً مستعداً لحمل صليبه". عندما نحمل صليبنا، نعلن انتصار المسيح داخلياً وخارجياً، ونحرس قلوبنا وأذهاننا في المسيح يسوع من الشياطين وردائلهم، كما نعطي شهادة لمن حولنا عن حقيقة أن انتصاره هو لكل البشر، المحبوبين من الله والمدعوين إلى القداسة والحياة الجديدة في الشركة معه. إذا أحببنا، فإننا نكون أيضاً على استعداد للثبات في إعلان أن ما أعلنه الله على أنه خطيئة هو خطيئة، فيما نشير إلى طريق التوبة والشفاء بشهادتنا الذاتية للحق.

لذلك، لكي نحقق النصر مع المسيح على هذا العالم وكل ما هو عابر، نموت نحن أيضاً عن الأنا والعالم وعن المطالب الدهرية والاحتفاظ بالصليب وحقيقة المسيح مخفيين لأنفسنا. يدعونا المسيح أن نخرج من أنفسنا، ونعطي أنفسنا، لنصبح شهوداً شجعاناً للحياة في المسيح لهذا العالم الهالك. لماذا؟ لأن محبة الله تفرض علينا، لأننا نحب المسيح، نرغب في الشفاء والخلاص ليس فقط لأنفسنا ولكن أيضاً للذين يُدخلهم الله في حياتنا.

هذا صليب أيضاً وإنكار للذات في عالم يُقال لنا فيه أن نحفظ بإيماننا لأنفسنا، ونركّز فقط على أنفسنا، لأن حقيقة المسيح هي بمثابة إهانة لمطالب الإنسانية الدهرية اللادينية ومذهب المتعة. إن الذين أنكروا أنفسهم وحملوا صليبهم لاتباع المسيح يكتسبون النصر بوصفهم ورثة لملكوت المسيح. هذا هو وعد ربنا العظيم بالمحبة لنا في الإنجيل حيث يعلن: " مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا".

نحن نعلن هذه المحبة وهذا الرجاء لعالم لم يعد يعرف ما هي المحبة أو كيف يحب، أو كيف ولماذا يحرم الناس أنفسهم من أي رضا. نحن نعطي من أنفسنا لبناء الكنيسة وخدمتها. نقدم أنفسنا لنشهد للحق قولاً وفعلاً. في حملنا صليبنا كل يوم، نحن نعلن حقيقة حياة المسيح وانتصاره على الخطيئة والموت. نحن الذين نجاهد ضد خطايانا ونشاور في هذا الجهاد، ونعود إلى المسيح حاملين ثمار التوبة، نشهد لانتصار الصليب. نعلن الحقيقة بصوت عالٍ ودون إنكار لعالم ميؤوس منه. والحقيقة هي أن المسيح هو تلك الحياة؛ فيه رجاؤنا الأكيد وشفافؤنا. يلخص الأب ديمترو ستنيلوي هذه الحقيقة فيكتب: "الصليب هو قوة المسيح التي عندما نأخذها يمكن أن تحوّل العالم إلى ملكوت".

لذا، تفحص حياتك اليوم. أنتكر نفسك حقاً وتحمل صليبك لتتبع المسيح؟ جدد شراكتك مع الذي هو الحياة قبل كل شيء. احمل صليبك واتبع المسيح واعلم أنه سيكون معك في كل خطوة على الطريق. صليبه سوف يحميك ويرشدك. فاتقوا الله وسوف لن تخشوا إنساناً. وبعد ذلك ، يمكننا أن نؤكد بحق مع القديس بولس: " مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَأَنَا، بَلِ الْمَسِيحِ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية ٢:٢٠). افعل ذلك وسيتحول العالم من حولك إلى فردوس!

Source: What Does the Cross Mean for us Today? Homilies. <https://www.orthodoxannapolis.org/what-does-the-cross-mean-for-us-today%ef%bf%bc/>